المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة الزاب الشرقي

"معالم خنقة سيدي ناجي نموذجا"

أ/ كريم الطيب/ قسم التاريخ والآثار/ جامعة الحاج لخضر / باتنة 1

krimtayeb@gmail.com

abstract

The study of Islamic architecture in our time was associated with the Islamic archeology, which was created by orientalists and Western archeologists. Hence, this science was influenced by their methods and their way of thinking. This was reflected in the way of dealing with the remaining Islamic buildings. The study aims at studying some of the Islamic monuments in the eastern Zab, a historical archaeological study. Models in this study focused on the Sidi Al-Mubarak Mosque and the house of the Bin Hussein family, known as Saraya in the Municipality of Khanaqah Sidi Naji. The sites dedicated to the above study are of archaeological significance , As it is really valuable archaeological evidence, because of resistance to the harsh natural conditions prevailing in the region, which is characterized by its desert climate, as well as the historical situation and political changes experienced by the region over the historical periods. It has also contributed to the region in

terms of scientific, cultural, religious, and even social and has gone beyond to the areas adjacent to the homeland, and the nature of the architectural and decorative of these sites, still maintain its form despite the long time of establishment

ملخص البحث:

ارتبطت دراسة العمارة الإسلامية في عصرنا بعلم الآثار الإسلامية، الذي نشأ على يد المستشرقين وهواة الآثار الغربيين ومن ثم تأثر هذا العلم بمناهجهم وأسلوبهم في التفكير وانعكس ذلك على طريقة تناول العمائر الإسلامية الباقية، بالوصف والتحليل. يهدف البحث إلى دراسة بعض المعالم الأثرية الإسلامية في الزاب الشرقي دراسة أثرية تاريخية.وكنماذج ركزنا في هذه الدراسة على مسجد سيدي المبارك ومنزل أسرة بن حسين، أو ما يعرف بالسرايا في بلدية خنقة سيدي ناجي.لا شك أن المواقع المخصصة للدراسة السالفة الذكر لها أهمية أثرية، إذ تعد بحق شواهد أثرية هامة، بسبب مقاومتها الظروف الطبيعية القاسية التي تسود المنطقة، والتي تتميز بمناخها الصحراوي، وكذا الظرف التاريخية والتحولات السياسية التي شهدتها المنطقة على مر الفترات التاريخية. كما ساهمت في المنطقة من الناحية العلمية، الثقافية والدينية، وحتى الاجتماعية و قد تجاوز ذلك إلى المناطق المجاورة للوطن، كما أن الطابع العمراني و الزخرفي لهذه المواقع، مازال يحافظ على شكله رغم مرور زمن طويل على إنشائها

الموقع الجغرافي و إشكالية التسمية:

تقع بلدية خنقة سيدي ناجي في منطقة الزاب الشرقي أقصي شرق بسكرة، وهي تتوضع في أقدام سلسلة الاوراس بالضبط في أقدام جبال النمامشة، وتبعد عن مقر الولاية "بسكرة" بحوالي 100 كلم، وترتبط بها بواسطة الطريق الوطني رقم83 و يعد

المحور الرئيسي في هيكلة مجال البلدية وفي الحركة والاتصال، وبمسافة 25كلم عن مقر الدائرة زريبة الوادي شرقا.

● **اسم الخنقة:** جاء في القاموس المحيط[1]" أن الخانق الشعب الضيق والزقاق المختنق: المضيق ومختنق الشعب مضيقه والخانق مضيق في الوادي والخانق شعب ضيق في الجبل، وأهل اليمن يسمون الزقاق خانقا[2].كما أن اسم الخوانق ارتبط بالزوايا في المشرق، حيث يذكر ابن بطوطة[3]"وأما الزوايا فكثيرة، وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقه".وبما أن هذا المصطلح غير شائع في بلاد المغرب، رغم أن بلدة خنقه سيدي ناجي بدايتها الأولي كانت عبارة عن زاوية للتصوف والعبادة، إلا أننا نرجح أن تسمية الخنقة تسمية جغرافية تعني الفج والمضيق بين جبلين، و كثيرا ما يضاف إلي اسم آخر، فيقال خنقة كذا و كذا، ومن ثمة أضيفت الخنقة إلي الجد الأول للأسرة سيدي ناجي.

1 مسجد سيدي المبارك:

أ– ظرفية التأسيس: يعد " مسجد سيدي المبارك " المعروف كذلك، " بالجامع الكبير " و " جامع الجمعة " من أهم المراكز العلمية بالمنطقة، يعود تأسيسه – كما سلف الذكر– إلى سنة 1147هـ /1734م، ذلك ما تدل عليه كتابة موجودة على يسار المحراب تذكر بأن " محمد بن محمد الطيب "هو الذي بني المسجد في أواسط صفر من سنة 1147هـ. وهي كتابة تأسيسية تخلد ذكرى بناء المسجد، نفذت بخط مغربي بأسلوب الحفر البارز، يتميز هذا الخط كغيره من كتابات هذا المسجد، بعدم الإتقان والجودة ورسم بعض الكلمات وفق الرسم القرآني، وهو ما نلمسه في كلمة الفقرا بدون همزة. فقد تضمنت الكتابة اسم باني هذا المسجد، وهو الشيخ محمد بن محمد بن الطيب بن احمد بن المبارك في التاريخ المذكور وهو سنة 1147من الهجرة النبوية.

لا نعلم على وجه التحديد، فيما إذا كانت عملية البناء هذه مجرد عملية تجديد وتوسعة للمسجد الذي بناه جده، أم هي إعادة بنائه كلية من طرف هذا الحفيد الشيخ محمد بن محمد الطيب، إلا أننا نرجح أن هذا التاريخ يدل على إعادة بناء للمسجد وتوسعة الذي كان قائما، والذي كان في الأساس زاوية أسسها الشيخ سيدي المبارك لتعليم العلوم النقلية والعقلية، وتلقين الطريقة الناصرية الشاذلية، والتي أصبحت وجهة لطلاب العلم والتصوف من كل مكان ودفن بجوارها حيث ضريحه الآن في الركن الغربي الشمالي للمسجد الحالي سنة 1031 هـ /1622م، وأصبحت شيئا فشيئا تحمل اسم مسجد سيدي المبارك.

ب الوصف العام للمسجد:

يأخذ جامع سيدي المبارك بن ناجي شكلا مستطيلا، 26×13م يتكون من بيت الصلاة، والمدرسة الناصرية الملاصقة لبيت الصلاة من الناحية الشمالية، وكذا الميضأة(المطهرة)، ومن الناحية الغربية ضريح سيدي المبارك وتحديدا الركن الشمالي الغربي منه، أما الركن الجنوبي الغربي، فيوجد ضريح الشيخ بن حسين محمد، إضافة لذلك صحن ملحق بالمسجد غير مغطى يستعمل للصلاة في فصل الصيف مبلط بالآجر الأحمر. تأخذ بيت الصلاة في جامع سيدي المبارك شكلا غير منتظم، طول ضلعها17,50م، أما العرض فيبلغ 13,60م وبذلك يبلغ جوفه 210,80م، على غرار مسجد سيدي عقبة، ومسجد سوس بتونس والقرويين بفاس[4] والمسجد البراني للقصبة بمدينة الجزائر[5].تحتوي بيت الصلاة، على خمس أساكيب موازية لجدار القبلة وسبع بلاطات عمودية على جدار القبلة(المحراب)، ويبلغ عرض البلاطة الواحدة2,30م، أي تقريبا المسافة الموجودة في بلاطات مسجد عقبة بن نافع، ولكنها تختلف من حيث الطول. فبلاطة المحراب والثلاثة التي على يمينها يعادل طولها

عمق بيت الصلاة، أما البلاطات الثلاث التي على يمين المحراب فطولها11,20م. و يرجع هذا الاختلاف في المقاسات إلي وجود الضريح"أحمد بن ناصر" في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة.

أما الأساكيب، فهي تختلف من حيث المقاسات، إذ يبلغ عرض أسكوبالمحراب 2,30م، أما طولها فيعادل طول ضلع بيت الصلاة. و الأسكوب الأخير عرضه 2,30م، أما طوله فيبلغ 15م. وتنحصر جميع الأساكيب بين خمس صفوف من الأعمدة يحمل كل صف منها بائكة من العقود، أما الجدران فيبلغ سمكها 60سم، وهي تقريبا سمك جدران مسجد سيدي عقبة. يحتوي مسجد سيدي المبارك على **صحن** يقع في الجهة الغربية من المسجد وهو أيضا غير منتظم الشكل طول ضلعه على يمين المحراب 7,15م أما على يساره فيبلغ طوله 9,70م أما طول ضلع الصحن على جدار القبلة"المحراب" فيبلغ 7,10م به رواق عرضه 1,20م محمول على دعامات(أعمدة) يبلغ عددها عشرة دعامة مصنوعة من الحجارة ومبلط بالآجر الأحمر جلب من تونس أيام أحمد باشا. يتميز مسجد سيدي المبارك بميزة منفردة عن بقية مساجد الجزائر، وهي تعدد الأضرحة فيه، والتي تعد كمزارات تضم شيوخ الزاوية الذين هم في نفس الوقت شيوخ الخنقة البارزين، والذين أرتقوا إلي مصاف الأولياء الصالحين. ونجد ما يشابه ذلك في العمارة السلجوقية أين يتم إلحاق المدرسة بالمدفن، وهي قاعدة العمارة السلجوقية(470هـ/708هـ) الموافق لـ (1077م /1308م)[6].

ويورد صالح لمعي[7]، في هذا المجال وعلى سبيل المثال تربة درويش باشا والي دمشق)982هـ الموافق لـ 1574م، وهي تقع ضمن مجموعة معمارية تتألف من جامع ومدفن ومكتبة(كتاب)، والقبة لها طنبور من طابقين.

الملاحظات التي يمكن أن نخرج بها من خلال دراستنا لمعالم الخنقة مايلي:

1. المنطقة لم تكن مهجورة من قبل، فبقايا القرية البربرية تدل على تواجد بشري سابق.

2. الواحة كانت ممر رئيسيا للقوافل المتنقلة من الصحراء نحو الشمال، أو من الجزائر وحتى المغرب الأقصى إلى الحجاز في مواسم الحج.

3. مساحة الواحة ضيقة، عكس مدينة بادس المجاورة التي لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة والتي توجد في منبسط، وهذا ما جعلها عامل طرد للسكان في العهد الروماني والبيزنطي. ضف إلى ذلك وجودها في منخفض، وهو عبارة عن طمي وأتربة ترسبت من وادي العرب، وبذلك لا تستوعب العدد الكبير من السكان.

4. الواحة كانت عرضة لفيضانات وادي العرب المجاور لها من حين إلى آخر، مما جعلها عامل طرد للسكان.

6. موقعها المحصن جعلها ملجأ للفارين والملاحقين سواء من الأفراد أو القبائل على مر الحقبات التاريخية، خاصة وأن المنطقة شهدت صراعات كبيرة.

7. إشكالية النسب، وهي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار أخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريفي مطلب الجميع. وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك: الأول ينتهي إلي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والثاني إلى الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم.

8. ارتباط تأسيس خنقة سيدي ناجي بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية والأسطورة.

9. أن من رمم مسجد سيدي المبارك وهو عمر التونسي هو نفسه من رمم مسجد سيدي عقبة والدليل على ذلك هو وجود نفس اسم المرمم في المسجدين.

10) المسجد كان في بدايته عبارة عن زاوية ليتحول مع مرور الزمن إلي جامع ومدرسة

11) الملاحظ أيضا، هو توفر شروط العمارة الإسلامية في تأسيس الخنقة، من إحاطتها بصور بغرض الحماية، و تموضعها بين جبل ووادي، وهذا ما تكلم عنه ابن خلدون، وابن الأزرق، وابن الربيع.

12) دقة وتنظيم البلدة من حيث تقسيم سكانها قبليا على أحياء وحارات وهو ما يشبه المدن الأولى التي أسسها المسلمين كالكوفة والبصرة والقيروان والفسطاط ولهذا عرفت البلدة ذات الخمس مساجد وخمس حارات وخمس سواقي وخمس أبواب.

13) ظاهرة تعدد الأضرحة بالمسجد وهي ظاهرة نادرة قاما نجدها في مساجد الجزائر.

14) الزخرفة التي تزين المسجد وهي زخرفة ذات نمط متطور عما وجدناه في مساجد. الزاب الأخرى، زخارف نباتية، هندسية، فلكية غاية في الإتقان.

15) المقبرة الملحقة بالمسجد الخاصة بأسرة بن حسين والتي تضم شيوخ وأبناء الأسرة ملحقة بالمسجد منفصلة عن مقبرة العامة من سكان الخنقة.

16) طريقة بناء القبور والشواهد وهي دلالة عن التأثير العثماني في المنطقة كما تبين الحظوة والمكانة التي كانت لأسرة بن حسين.

17) المدرسة الناصرية والتي تعد نموذجا فريدا من نوعها في الزاب من حيث التصميم والبناء والوظيفة عكس مسجد سيدي عقبة.

18) الصحن الملحق بالمسجد والذي يتميز بالإتقان والزخرفة والاتساع.

19) استعمال الحجارة في صناعة الأعمدة (السواري)والتيجان بإتقان عال عكس مسجد سيدي عقبة الذي استعملت فيه أعمدة وتيجان جلبت من خرائب تهودة الرومانية وكذا استعمال جذوع النخيل.

20) الاستعانة باليد الفنية الخارجية والتي جلبت من تونس تحديدا، في أعمال الزخرفة والبناء.

21) التحكم في تقنيات الري حيث استغل شيوخها ما وجدوه من قنوات رومانية قديمة في المنطقة وأضافوا لها قنوات جديدة لاستصلاح أراضي الخنقة.

السرايـاأو (منزل أسرة بن حسين): تعد السرايا معلما تاريخيا وأثريا بارزا في خنقة سيدي ناجي، لما تتميز به من مكانة وهندسة معمارية وزخرفة. إلا أن هذا المنزل زالت أغلب معالمه نتيجة عدم مقاومته للظروف الطبيعية، كالأمطار والفيضانات التي كانت تضرب المنطقة بين الفينة و الاخري، ونتيجة لهجرة ساكنيه وعدم الاهتمام به إلا في السنوات الأخيرة أين أجريت عليه ترميمات وإصلاحات تمت دون دراسة

علمية مدروسة.كما انه لم يتم بنائه مرة واحدة، بل كان يخضع إلي إضافات بين الفينة والأخرى حسب حاجة العائلة وعدد الأفراد.

قام بتأسيس المنزل، محمد بن محمد الطيب في 1732م[8]، وأكمل بنائه أحمد بناصر أثناء عمليات الزيادة التي أضافها علي مسجد سيدي المبارك(المدرسة، والدمس، والقبة وكذا بناء القلعة) في سنة1171هـ الموافق لـ 1758م. حيث أنفق من ماله الخاص حوالي ثمانية آلاف سلطاني ذهبي، هذه الإضافات والزيادات تدل على الرخاء المادي الذي كانت تعيشه بلدة الخنقة، ويعد هذا المسكن من المساكن المتعددة الوظائف، فبالإضافة إلي كونه مسكن العائلة فهو أيضا مقر للحكم وإدارة شؤون الخنقة، خاصة وأن البلدة كان لها الحظوة الكبيرة في العهد العثماني كما سبق ذكره في المدخل التاريخي، حيث كانت تسمي "دار إمارة الاوراس والزاب الشرقي" في جمع العشور والزكاة، ضف إلي ذلك أنها كانت مقصد لبعض البايات سواء من قسنطينة أو تونس كزائرين أو هاربين للاحتماء وطلب الدعم.ولهذا كان التفكير في بناء مسكن يليق بأسرة بناصر.

الوصف العام للسرايا(المنزل):

تمتاز السرايا (أو منزل عائلة بن حسين) بطابع التربيع والتكعيب تقريبا مثل تصميمات قصور مدينة الجزائر، التي تعود للفترة العثمانية شأنها شأن التصميمات التي تمتاز بها العمارة الإسلامية المعروفة في العالم الإسلامي[9]، حيث يبلغ طول ضلعها16م، أما العرض 12م. وبذلك لا تختلف عن نمط القصور العثمانية بمدينة الجزائر العاصمة، مثل قصر عزيزة (25م ×20م)، وقصر حسين باشا[10].

لم يخرج منزل عائلة بن حسين عن هذا النمط المعماري، فهو يحتوي على طابق أرضي يشتمل علي المرافق الصحية والمعيشية، وكذلك علي غرف خاصة للضيوف بينما الطابق العلوي يحتوي على غرف للنوم[11] ونجد شبيهها في تخطيط القصور الأموية الأولي في بادية الشام وقد تم علي أساس الفناء المركزي المكشوف الذي تدور حوله وحدات المسكن الكبير[12] وما يسترعي الانتباه في السرايا أن واجهتها تقع في زقاق ضيق بعيد عن مواجهة الشوارع الكبرى والعامة المتميزة بكثرة الحركة النشطة كما أنها تقع في غير مواجهة مراكز الجذب العامة كالأسواق والمرافق العامة. يمكن تقسيم المنزل إلي عدة طوابق، والملاحظ أنه يمثل بحق ناطحة السحاب في منطقة صحراوية تتميز ببساطة مساكنها. نظرا لارتفاعه الملحوظ مقارنة بباقي منازل الحنقة خصوصا، والنمط العمراني المعروف في منطقة الزاب عموما، حيث يبلغ ارتفاعه ارتفاع مئذنة مسجد سيدي لمبارك الملاصقة له.

من خلال دراستنا النظرية والوصفية، وكذا التحليلية لأهم المعالم الأثرية الإسلامية لحنقة سيدي ناجي، والمتمثلة في مسجد سيدي المبارك وكذا السرايا. يمكن الخروج بعدة ملاحظات واستنتاجات أبرزها:

1). تأسيس خنقة سيدي ناجي جاء كحتمية دفاعية بدرجة أساسية بعد فرار سيدي المبارك من مطاردة الشابية له في الصحراء.

2). ارتباط تأسيسها بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية والأسطورة.

3). إشكالية النسب، وهي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار أخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريفي مطلب الجميع. وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك الأول ينتهي إلي عثمان بن عفان،والثاني إلي الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم .

4). أن خنقة سيدي ناجي اكتسبت مكانة مرموقة علميا واقتصاديا في مدة وجيزة في منطقة الزاب الشرقي، رغم وجود قرى لها أسبقية الظهور في المنطقة كسيدي عقبة، ليانةوبادس، التي كانت مركزا عمرانيا كبير منذ العهد الروماني، ورغم ذلك لم تحقق ما حققته خنقة سيدي ناجي.فهل هذا يعود فقط للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها مؤسس الخنقة والزاوية وهو سيدي المبارك؟

5. أم أن هذه الأسرة جلبت معها موارد مالية كبيرة أثناء تنقلها من تونس، وهذا ما جعلها تصبح مركز استقطاب للاستقرار السكاني والازدهار الاقتصادي (للحرفيين والتجار).

6). المنطقة ورغم بعدها عن مقر الحكم العثماني إلا أنها لم تكن بعيدة عن مجريات الأحداث السياسية والثقافية، بسبب المكانة التي حظيت بها في العهد العثماني من لدن الحكام العثمانيين دون المناطق الأخرى، والذي تجلي في حصول شيوخها على حق جباية الزكاة والعشر في الزاب الشرقي وجبل ششار، وهي حظوة لا يمكن الحصول عليها مجانا خاصة وان العثمانيين كانوا لا يعطونها لأي كان.

7). موقع خنقة سيدي ناجي، وهو طريق القوافل بين الصحراء والتل بالنسبة للقبائل الرحل في رحلة المصيف، وكذا طريق الحج الذي كان يمر بها، والذي ينطلق من المغرب الأقصى وموريتانيا، وهذا ما شجع حركة التجارة والتبادل التجاري في المنطقة

8). العلاقات الطيبة مع دايات تونس حيث كانت ملاذا للبعض منهم أثناء صراعهم على السلطة واستضافتهم، وهذا ما يسمي في لغة اليوم الدبلوماسية "باللجوء السياسي"، هذه المكانة جعلتهم حلقة وصل بين الايالتين التونسية والجزائرية عند حدوث الأزمات.

9) إلا انه من جهة أخرى، كانت هذه المكانة مثار شكوك بايات قسنطينة وعدم الثقة في شيوخ الخنقة، وبذلك كانت خنقة سيدي ناجي منطقة تجاذب بين الايالتين.

10). الروابط الثقافية وحتى الأسرية بين أسرة سيدي ناجي و الأيالة التونسية، جعلت المنطقة تتأثر بالنمط العمراني والثقافي التونسي، فقد استفادت الخنقة من دون شك ببعض المظاهر الثقافية والفنية من تونس نظرا للتقارب الكبير الذي كان بينهما. فقد استعان شيوخها في تزيين مسجد سيدي المبارك بصناع تونسيين ماهرين أمثال: أحمد بن عمر التونسي الذي نقش المحراب و الاصطا حسين الذي نقش القبة وعلي بن محمد التونسي وعمر الصفا قسي ...إلخ، وقد وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة الخنقة، فنقش مثلا على الباب الغربي للمسجد ما يلي:"ركب هذا الباب يوم الأحد الثامن من شهر الله المعظم شوال سنة 46 ومائة وألف علي يد صانعه أصطا أحمد بن عمر الشريف الجبايلي النقاش وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد بن عمر الصفا قسي رحمه الله".

11). الزخرفة العثمانية البارزة في معالم الخنقة في المسجد والسرايا، والتي تدل بشكل لا يدعوا للشك أن المنطقة كانت تعيش في رخاء اقتصادي ومالي كبيرين.

12). ظاهرة استعمال العقود النصف دائرية، والتي نجدها في اغلب المنازل في خنقة سيدي ناجي إلي يومنا هذا، وهذا يدل أن المعماري في المنطقة أصبح يتحكم في تقنيات البناء بدرجة كبيرة. حيث أصبح يكيف عمران البلدة حسب متطلبات البناء والظروف الزمنية التي تعيشها.

13). ظاهرة استعمال العقود البرميلية على شكل العقود الرومانية والتي استعملت في المدرسة الناصرية والسرايا.

14). عمليات الترميم العشوائية التي تمت عليها دون دراسة علمية، شوهت هذا المعلم التراثي وأفقدته زخرفته وهندسته التي تعود إلى حوالي أربعة قرون خلت.

15) يمكن القول في الأخير، أن مكانة شيوخ خنقة سيدي ناجي الدينية والعلمية جعلت تأثيرهم ينتشر بسرعة في ناحية الزاب الشرقي، وكذا حنكتهم السياسية منذ تولي أحمد بن ناصر المشيخة في البلدة جعلتهم يحتلون هذه المكانة مع مرور الزمن. إلا أن البلدة فقدت هذه المكانة في الوقت الراهن، بعدما أهملت وتعرضت للموت البطيئي بعد هجرة سكانها، وبذلك تعرضت السرايا للسقوط.

الخاتمـــة

لقد تبين لنا من الدراسة الميدانية المتعلقة بالمعالم الأثرية الموجودة في منطقة الزاب الشرقي، استخلاص بعض خصوصيات العمارة الإسلامية المحلية بالمغرب الأوسط في القرون الأولي للفتح الإسلامي والعهد العثماني:

1. أنها عمارة محلية في طابعها ونسقها العمراني في بدايتها الأولى، إلا أنها تأثرت فيما بعد بالمؤثرات الخارجية الآتية من منطقة الأناضول وبالتحديد تركيا بسبب الوجود العثماني بالجزائر، وهذا ما نلاحظه في عمارة خنقة سيدي ناجي وبالتحديد في السرايا.

2. عمارة الزاب الشرقي، اعتمدت في بدايتها على المواد المحلية الصنع في عملية البناء والزخرفة، مثل جذوع النخيل واللبن و الجص، ومع مرور الزمن تطورت أساليب البناء وتقنياته، حيث استعمل البناء تقنيات مختلفة عن التقنيات المستعملة محليا ومزجها بتقنيات خارجية، مستعينا بخبرات خارجية من المناطق المجاورة للجزائر، كتونس مستغلا الروابط التاريخية بين هذه الأخيرة وتونس، كذلك استعان بالمواد التي كانت تجلب للجزائر في العهد العثماني من دول أخرى.

3. أن المعماري لم يهتم بالجانب الجمالي بشكل كبير، بقدر اهتمامه واحترامه لأسس البناء وقواعده، وهذا ما وجد في مسجد سيدي عقبة. أما في معالم خنقة سيدي ناجي فنجده قد بدا يطور مهاراته وتقنياته، وبدأ يعطي الناحية الجمالية حقها من حيث استعمال الآجر والمزج بين عدة مواد وتقنيات في المبني الواحد، دون الإخلال بالنسق العام للمبني، ضف إلى ذلك اهتمامه بالعنصر الزخرفي في المبني لإضفاء الناحية الجمالية عليه، حيث لم يكتفي بالزخرفة البسيطة على الجص بل تعداه إلى

الزخرفة على الحجر ومواد أخرى، كذا تنويع مواضيع الزخرفة، سواء النباتية أو الهندسية وحتى الرموز الفلكية، كالنجوم والأهلة تحت تأثير العمارة العثمانية.

4.فيما يتعلق بعمر البناء وسلامته، فقد لجأ معماريو المنطقة إلى استعمال الأسس التي كان يعطيها البناء الأهمية البالغة، بحيث راعي تضاريس المنطقة وطبق النوع اللائق بها.

5.والخلاصة التي يمكن الخروج بها من هذه الدراسة أن عمارة الزاب عموما والزاب الشرقي خصوصا حملت الصفات العامة للعمارة الإسلامية يمكن حصرها كالتالي:

أ- من حيث الهندسة والتخطيط:

- استخدام الصحن أو الفناء المحاط بالأواوين أو الأروقة كعنصر أساسي في تخطيط العمائر بكل أنواعها تقريبا.
- الاعتماد على العقود ذات الأقواس المختلفة والعمد أو العضائد كعناصر أساسية لحمل السقوف
- العناية بالواجهات وأسوار المباني والاهتمام بالبوابات بشكل خاص.
- مراعاة التقاليد الاجتماعية والدينية في الهندسة والتخطيط، وإيجاد الحلول للتكيف مع البيئة الطبيعية وأحوال الجو.
- الاعتماد في التسقيف على القباب والسقوف المعقودة وتكاد تكون القبة العنصر الشائع الذي لا يستغني عنه في العمائر الدينية، والمدنية أحيانا.

ب من حيث المظهر العام:

- الإكثار من الزخرفة والعناية بالتجميل و الميل إلى التنويع في استعمال العناصر، والاعتماد على التكرار في بعضها الآخر.
- توخي التناظر في توزيع العناصر، والاعتماد على التكرار في بعضها الآخر.
- تجنب تمثيل الكائنات الحية، والتركيز على استعمال المواضيع الهندسية والنباتية، والعمل على إغناء هذه المواضيع وتطويرها.
- تسخير الخط العربي،بعد تطويره وتجميله، في أغراض فنية و زخرفية متعددة

الهوامش:

[1] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص1138.

[2] لسان العرب: باب الخاء، المجلد الثاني، ص325.
انظر أيضا: المصدر نفسه، المجلد 3، ص190، مصطلح "الزقاق"، والتي تعني السكة يذكر ويؤنث، والزقاق الطريق الضيق دون السكة، وأيضا طريق نافذ وغير نافذ.

[3] ابن بطوطة: الرحلة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1980، ص37.

[4] شافعي فريد: شافعي فريد: **العمارة العربية في مصر الإسلامية**، مجلد1،(عصر الولاة)، الهيئة المصرية للتأليف و النشر، مصر، 1970، ص65.

[5] Bouruiba(r) : **apport de l'Algérie a l'architecture religieuse arabo– islamique**, O.P.U, Alger, 1986 pp64-65

[6] صالح لمعي: القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص31.

[7] المرجع نفسه: ص29.

[8] G .Mercier:**mélange d'histoire et d'archéologie**, p157.

[9] محمد الطيب عقاب: **قصور مدينة الجزائر**" أواخر العهد العثماني "دار الحكمة، الجزائر 1999، ص51.

[10] محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص51.

[11] صالح لمعي: عمارات الحضارات القديمة، ص53.

[12] وجدان علي بن نايف: **سلسلة التعريف بالفن الإسلامي** "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين" دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص456.